

قضية اعتلاء
عبد الله بن محمد عرش الأندلس
عام ٨٨٨ هـ / ١٤٨٨ م

إعداد
د. عبد المحسن طه رمضان

ملخص

يمثل تقلد عبد الله بن محمد عرش أخيه المنذر كأمير للأندلس عام ٢٧٥هـ/ ٨٨٨م قضية يلفها الغموض، لمخالفته تقاليد نقل السلطة المعمول بها وقتذاك؛ ثم إنه جاء لاحقاً لوفاة أخيه في ظروف توحى باغتياله في مؤامرة لانتزاع عرشه، لا سيما وأن مثل هذه المؤامرات لم تكن جديدة على الأندلس. وما يزيد القضية تعقيداً طبيعة مصادر تلك الفترة، التي عمد مؤلفوها إلى طمس حقيقة ظروف وفاة المنذر، وما تلاها من أحداث أدت إلى تقلد عبد الله السلطة مكانه. ومن ثم فإن دراسة هذه القضية بتعقيداتها يتطلب تحليل هذه الروايات، وتدقيق تناقضاتها؛ مع مقارنتها بما ورد في غيرها من روايات لاحقة؛ فضلاً عن تتبع علاقة عبد الله بالمنذر قبيل وفاته وفي أعقابها؛ وأخيراً تحليل ملامح شخصية عبد الله وانعكاساتها على علاقاته بأبنائه وأخوته بصفة عامة. واستناداً على هذا المنهج في دراسة القضية، يتأكد تدبير عبد الله اغتيال أخيه لانتزاع عرشه دون اعتبار لرابطة دم أو لتقاليد أسلافه في نقل السلطة؛ فانتقل العرش إلى ذريته مدة من الزمن، فقدوا بعدها سيادتهم الأموية عن الأندلس؛ وهو ما مهد ضمن عوامل أخرى لزوال السيادة الإسلامية كلية عنها عام ٨٩٧هـ/ ٤٩٢م، فكانت خسارة الأندلس كبيرة و مريرة.

Abdallah Ibn Mohamed's Accession to the Throne of Al-Andalus in 275 AH (AD 888)

DR. Abdel Mohsen Ramadan

Abstract

When Abdallah Ibn Mohamed assumed the throne of his brother Almunzir as Emir of Al-Andalus in 275H./888A.D., a mysterious problem arose. It occurred in spite of the prevailing rules of succession implemented in that era, and after the passing away of his brother in circumstances inciting to believe his murder in a plot to seize his throne . Such plots were nothing new in the troubled history of Al-Andalus. The mystery increases due to the very nature of contemporary sources as their authors tend to conceal the truth about Almunzir's death and the succession of Abdallah . The study of this problem requires a detailed analysis of these stories and their contents in addition to investigating their different elements. They should also be compared with later chronicles to investigate the relations of Abdallah with Almunzir before his passing away and with his family thereafter. The personality of Abdallah should then be tackled as well his relation with his sons and brothers . It should then be taken into consideration that a great possibility, and even a certainty, arises that Abdallah managed to eliminate his brother to seize his throne without any consideration for blood bonds, ancestral traditions and customs, ethics and rules of succession. The throne then went to his descendants after him for a while but ended with

the utter destruction of Umayyad rule in Al-Andalus. This should be considered – among other factors – as one of the reasons leading finally to the eradication of Islamic rule entirely from Al-Andalus later on.

من المسلم به أن نجاح عبد الرحمن الداخل في إحياء دولة أجداده في الأندلس، مع نهاية عام ١٣٨هـ / مايو ٧٥٦م، قد استتبعه اقتباس رسومهم التي مارسوها في المشرق؛ وعلى رأسها نظام حكمهم الوراثي في نقل السلطة إلى خلفائهم. لكن بدلاً من توسيع نطاقه داخل الأسرة في الأبناء والأخوة وأبناء الأعمام، أيا كان من يليه منهم؛ فقد عمد عبد الرحمن وخلفاؤه من بعده - إلى تضيقه وحصره في الأبناء وحدهم؛ كوسيلة فعالة للإبقاء على الحكم في أيديهم، وقطع الطريق على غيرهم من انتزاعه أو منازعتهم فيه؛ في ظل معطيات موطنهم الجديد؛ الذي افتقدوا فيه عصبية أموية قوية، وسط مجتمع متنافر ومتوثب إلى مناوأة السلطة المركزية؛ بفعل تكوينه العرقي والقبلي المتنوع، وطبيعة طبوغرافية بلادهم المعقدة. وفوق هذا كله الهواجس التي ظلت تطارد أمويي الأندلس فيما يخبئه المستقبل من ضربات قد تماثل ضربة العباسيين لأجدادهم في المشرق.

وليس من السهل الاعتقاد أنه فات على هؤلاء الأمويين، أن هذا التضيق من شأنه إثارة منازعات ومناقشات عائلية متتابة، هم في غنى عنها؛ لا سيما وأنهم لم يتبعوا معايير ثابتة في ولاية العهد، بقدر ما ارتبطت بميولهم الشخصية إلى أي من الأبناء. فعبد الرحمن الداخل - مع أنه ترك وصيته ليخلفه من يسبق من أبنائه سليمان أو هشام إلى العاصمة قرطبة؛ لتواجهما وقتذاك خارجها^(١) - كان متأكداً من وصول هشام قبل أخيه، لكونه مقيماً في ماردة وهي أقرب إلى العاصمة من طليطلة مقر أخيه الأكبر سليمان؛ ولم يكن ذلك إلا لميله إلى هشام أكثر من أخيه^(٢). فلما ارتقى هشام اختار لولاية عهده ابنه الحكم، متخطياً أخاه الأكبر عبد الملك^(٣). أما الحكم فقد أخذ ببيعته لابنه عبد الرحمن متخطياً أخاه الأكبر هشام، الذي سخط عليه أبوه حينما بلغه أنه يتمنى موته^(٤)؛ ولكي يضمن الحكم استبعاده فيما بعد، فقد احتاط بأخذ البيعة أيضاً لابنه الآخر المغيرة^(٥)؛ كبديل لعبد الرحمن أو خليفة له فيما لو حدث له مكروه. في حين مال عبد الرحمن في أواخر عهده إلى ابنه محمد^(٦)، فاستأثره من بين أبنائه بولاية عهده^(٧). ثم عهد بها الأخير إلى ابنه المنذر^(٨) ولم يكن أكبر أبنائه. وفيما بعد تخطى عبد الرحمن الثالث ابنه الأكبر عبد الله إلى أخيه الأصغر الحكم^(٩).

وقد ترتب على هذا الميل أن تخطى الأمراء دون مبرر حاسم بعض أبنائهم في ولاية العهد؛ فأثيرت حفيظتهم بحيث لم يجدوا ما يمنعهم إما من منازعة آبائهم في العرش، مثلما فعل عبد الله مع أبيه عبد الرحمن الثالث^(١٠)؛ أو التآمر عليهم لاغتيالهم وقلب نظام الحكم لصالحهم، على النحو الذي فعله كل من عبد الملك مع أبيه هشام^(١١)؛ وعبد الله بتدبير أمه طروب مع أبيه عبد الرحمن الثاني^(١٢). وليت الأمر يقتصر على الأبناء وإنما امتد إلى بقية أفراد الأسرة؛ من أخوة الأمير وأبناء أخوته وحتى أعمامه، ممن رأوا في استئثار أبناء الأمير بالحكم اغتصاباً لحقهم دون مسوغ مقبول؛ باعتبارهم جميعاً أبناء أسرة واحدة، فتآمروا على الأمير لانتزاع عرشه؛ مثلما فعل أبناء أخوة عبد الرحمن الداخل في محاولتين متتابعتين^(١٣)، وما فعله كل من سليمان وعبد الله مع أخيهما هشام ومن بعده ابنه الحكم^(١٤).

ومع ذلك فلم يكتب لأى من هذه المحاولات النجاح، وقدر للعرش أن ينتقل إلى أولياء العهد من الأبناء دون أن تنتهك هذه القاعدة إلا باعتلاء عبد الله بن محمد عرش أخيه المنذر في ظروف غامضة، وذلك في السابع عشر من صفر عام ٢٧٥ هـ^(١٥) / أول يوليو ٨٨٨م؛ وهى حالة تستحق التوقف لدراستها، فى محاولة لكشف ظروفها وملابساتها لاعتبارات عدة.

وأول هذه الاعتبارات أن اعتلاء عبد الله عرش أخيه المنذر يعتبر مخالفاً للقاعدة المعمول بها فى نقل السلطة، مع وجود ذرية للمنذر أحق بوراثة. فتؤكد بعض الروايات أن المنذر خلف خمسة^(١٦) أو ستة^(١٧) من الذكور، وتضيف روايات غيرها^(١٨) أن عقب هؤلاء الذكور قد انقرض مع منتصف القرن الخامس الهجرى. وإن لم تقدم هذه الروايات أية معلومات تفيد ما إذا كان أبناء المنذر فى سن الحكم وقت وفاته؛ فإن روايات أخرى تؤكد - فى إشارتين عابرتين متفرقتين - أن اثنين منهم على الأقل كانا مؤهلين لوراثة؛ أولهما وهو محمد الذى وافته منيته فى ذى القعدة من عام ٣١٦ هـ /^(١٩) ديسمبر ٩٢٨ - يناير ٩٢٩م؛ أى أنه كان وقت وفاة أبيه فى أواخر العشرينات وبداية الثلاثينات، على اعتبار أن متوسط عمر الجيل ما بين الستين والسبعين عاما حسب نظرية ابن خلدون^(٢٠). وتضيف هذه الروايات أن محمداً كان: " من أكمل رجال البيت الأموى خلقاً وعقلاً وأدباً تاماً وحظاً من الشعر الجيد " ^(٢١)؛ أى أنه خلا مما يحول دون اعتلائه عرش أبيه. أما الثانى وإن لم نعرف سوى اسمه الأصبع، وأن عقبه هو الآخر قد انقرض مع منتصف القرن الخامس الهجرى^(٢٢)؛ فالراجح ألا تبعد وفاته

كثيراً - زيادة أو نقصاناً - عن وفاة أخيه محمد. ومثل هذه الإشارات تؤكد وجود أبناء ذكور للمنذر حين وفاته، وأنهم ظلوا على قيد الحياة حتى قرب نهاية العقد الثاني من القرن الرابع الهجري، وأن اثنين منهم على الأقل كانا في سن تؤهلهم للحكم، دون أن يكون بهما ما يحول دون وراثته، وبالتالي كانا أحق بوراثته من دون بقية أفراد الأسرة، أخوة كانوا أو غير أخوة.

ولما كان من المؤكد أن المنذر لم يعهد لأى من أبنائه بالعرش حتى وافاه أجله؛ فلا نعتقد أن ذلك يرجع إلى رغبته في ترك الأمر من بعده للشورى، على النحو الذى فعله معاوية الثانى فى المشرق^(٢٣)؛ وإنما لأنه لم يكن قد مضى عليه فى الحكم سوى أقل من عامين، انصرف خلالهما كلية إلى توطيد سلطانه، بمقارعة الثوار والمتوثبين عليه؛ وعلى رأسهم ابن حفصون ومن والاه فى منطقة الجنوب الأندلسى. وليس أدل على ذلك أنه كان فى ميدان القتال حينما توفى والده فى قرطبة، فاستدعى إلى العاصمة لإتمام إجراءات استخلافه فيها؛ وما أن أتمها فى الثالث من ربيع الأول عام ٢٧٣هـ /^(٢٤) الثامن من أغسطس عام ٨٨٦م حتى عاد ثانية إلى ميدان القتال. كما أنه يوم وفاته منيته - بعد ذلك بنحو عامين - كان على رأس قواته محاصراً ابن حفصون فى قلعة بوبشتر^(٢٥). وتبعاً لذلك فمن المنطوقى مع اضطراب أوضاع البلاد ألا ينشغل المنذر بأمر ولاية العهد، لاسيما وأنه لم يكن قد مضى عليه سوى أقل من عامين فى الحكم، ولم يبلغ من العمر إلا ستة وأربعين عاماً فقط^(٢٦)؛ وبالتالي فلم يتوقع أن ينتهى أجله بمثل ما انتهى إليه.

ومع ذلك فهناك من الدلائل ما يفهم منها أنه أوشك على البت فى ولاية عهده قبيل وفاته مباشرة. إذ حينما ألفت به وعكة صحية وهو فى ميدان القتال، وقرر العودة إلى قرطبة للتطبيب، أرسل فى استدعاء أخيه عبد الله لينوب عنه فى مواصلة الحصار إن اتصل مرضه؛ كما راسل صاحب قرطبة يكلفه ببعض المهام، ويأمره فى الوقت نفسه بالاستعداد لاستقباله فى يوم حدده له^(٢٧). ولا يستبعد فى ظل تلك المستجدات، أن يكون قد انتوى اتخاذ إجراءات تولية عهده حال وصوله إلى قرطبة؛ إلا أن قدره المحتوم أدركه فى أرض المعركة، ففضى نحيبه دون أن يولى عهده أحداً من بعده ابناً كان أو أخاً.

يضاف إلى ذلك أن إجراءات تولية عبد الله عرش أخيه جاءت على نحو يخالف ما درج عليه من سبقه أو خلفه من أمراء، حين نقل السلطة إلى خلفائهم؛ من وجوب ولاية عهد مسبقة وبيعة متقدمة لولى العهد، تتم في مقر البلاط بقرطبة. ولم تشر المصادر المتوفرة من قريب أو بعيد إلى ما يفيد قيام المنذر بتوليته العهد، أو أخذ ببيعة متقدمة له؛ وعلى العكس من ذلك فما يتأكد منها أنه لم يستخلف أحداً بعده حتى وافاه أجله، وأن إجراءات تنصيب عبد الله لم تتم - كما هو مألوف - في دار الإمارة بقرطبة، وإنما في ميدان القتال مثلما سنرى فيما بعد؛ وهو ما لم يحدث قط على مدار حكم بنى أمية في الأندلس. وفي ذلك ما يشكك في مدى شرعية الوسيلة التي مكنته من مخالفة كل القواعد والتقاليد المتبعة، والوصول إلى عرش أخيه في وجود أبناء له أحق بوراثته.

ولعل ما يدعم هذا الشك كون عبد الله أسن من أخيه المنذر، فمولده حسب بعض المؤرخين ^(٢٨) في منتصف ربيع الآخر عام ٢٢٩هـ / يناير ٨٤٤م؛ وهو نفس عام ولادة أخيه، وإن لم يحددوا أيهما أسبق من الآخر. في حين يقدم آخرون ^(٢٩) ولادته إلى شهر ما من عام ٢٢٨هـ (أكتوبر ٨٤٢ - سبتمبر ٨٤٣م)، أى أن ولادته سبقت ولادة أخيه بنحو أقل من عام. وفي كلتا الحالتين كان عبد الله يكبر أخاه بقليل، وبالتالي ألا يمكن أن اعتبر نفسه أولى من أخيه المنذر بالعرش منذ أن عهد إليه أبوه به، فأخذ يكيد له ويتربص الفرصة لانتزاعه حتى جاءت سرية؛ ولما لم يستكمل المنذر عامه الثاني، وهى أقصر مدة يتولاها أمير أموى على مدار حكمهم الطويل في الأندلس.

أما الاعتبار الأخير في طبيعة مصادر تلك الفترة، التي زادت المشكلة تعقيداً بما حوته من غموض وتمويه؛ بسبب أن مؤلفيها عاشوا في كنف سلطان بنى أمية، وهم إضافة إلى ذلك كانوا ينتمون - رغم اختلاف مشاربهم - إلى حزبهم الأموى، بحكم كونهم إما من الأسرة الأموية ذاتها؛ مثل معاوية بن هشام (ت ٢٩٨ هـ / ٩١٠-٩١١م) ^(٣٠)؛ أو من موظفى ومؤرخى بلاطهم مثل سكن بن إبراهيم (ت بعد ٣٢٠ هـ / ٩٣٢م) ^(٣١)؛ وعيسى بن أحمد الرازى (ت حوالى ٣٧٩ هـ / ٩٨٩م) ^(٣٢)، أو من مواليتهم بالوراثة كابن القوطية (ت ٣٧٦ هـ / ٩٨٦م) ^(٣٣) الذى كان إضافة إلى ذلك أحد مؤرخى بلاطهم. وما وصلنا من مؤلفات هؤلاء المؤرخين ^(٣٤) تكفى للتدليل على أنها حوليات حاشية لتاريخ الأسرة الأموية

الحاكمة وتمجيد أمرائها؛ فتدور فى غالبها حول الحياة الرسمية فى بلاطهم ومآدبه، وحياة وجهاء القوم، والنظم الإدارية، والعلاقات الدبلوماسية إلى ما شابه ذلك. وإن كانت تتضمن أيضا أخبار الثورات والفتن وصراع القبائل والأجناس المعادية للسلطة، فإنها جاءت على هيئة الأخبار الرسمية التى يصوغها مؤرخو البلاط لتمثل وجهة نظر السلطة؛ وبالتالي تخلو من أدنى تعاطف مع المناوئين، أو مما يمس سمعة أى من أمراء البيت الحاكم من قريب أو بعيد. ومن ثم عمد مؤرخو السلطة هؤلاء إلى حجب بعض الأخبار التى يتحتم الإبقاء على سريتها، أو التلمويه فى ذكر بعضها الآخر طمسا لحقيقتها؛ ومنها ما يتعلق بظروف وفاة المنذر، وما تلاها من ملايسات وأحداث حتى اعتلاء أخيه عبد الله العرش؛ فجاءت رواياتهم عنها غامضة، وفى أحيان أخرى متضاربة تضاربا زاد فى تعقدها وتغليظها بضباب كثيف مفتعل؛ بهدف الإيحاء بأن وفاة المنذر كانت طبيعية، وأن وصول أخيه إلى عرشه تم بطريقة دستورية، ودون أدنى تجاوز لتقاليد نقل السلطة من أمير إلى آخر. ومع ذلك فما حوته روايات هؤلاء المؤرخين فى طياتها من إشارات تدل على أن حقيقة الأمر كانت عكس ذلك كلية.

أما مؤرخو القرن الخامس الهجرى فهم وإن لم يعاصروا سلطان بنى أمية، إذ كان قد زال عن البلاد وولى إلى غير رجعة؛ إلا أنهم اقتربوا من الموضوع بحساسية مفرطة جعلت رواياتهم عنه مقتضبة مجملة، ورغم ذلك يمكن الاستفادة منها فى إزالة بعض ما غلفه من ضباب، إذا ما قورنت بما ورد عند مؤرخى القرن الرابع من إشارات. وعلى ذلك فما هى قصة وفاة المنذر وما تلاها من ملايسات أدت إلى تولية أخيه العرش مكانه، استنادا على روايات مؤرخى القرن الرابع مع مقارنتها بروايات مؤرخى القرون التى تليه.

يتفق مؤرخو القرن الرابع الهجرى فيما بينهم على مكان وفاة المنذر فى ميدان القتال، أمام أسوار قلعة الثائر ابن حفصون، بعد محاصرته لها ما يقرب من ثلاثة وأربعين يوما متصلة. لكنهم يختلفون فى أسباب هذه الوفاة، وما إذا كانت قد تمت بعد وصول أخيه عبد الله إليه أم قبل ذلك. وهو خلاف ناتج عن رغبة هؤلاء المؤرخين فى درء الشك عن عبد الله، وإبعاده عن دائرة الاتهام؛ ومع ذلك فتحوى رواياتهم شواهد على أن روح المنذر قد أزهقت فى مؤامرة من تدبير أخيه؛ الذى

أشرك معه فى تنفيذها عناصر موالية له من موظفى القصر والحرس الخاص، إضافة إلى بعض مناوئى المنذر نفسه.

فذكر روايات كل من سكن^(٣٥) وابن القوطية^(٣٦) وصاحب أخبار مجموعة^(٣٧) أن المنية فاجأت المنذر وعاجلته وهو فى ميدان القتال، أى أنها برأيهم كانت طبيعية؛ وأنها حدثت فى تواجد عبد الله أى أنه شهداها؛ وأنه اعتلى عرشه فى نفس يوم وفاته. أما عيسى الرازى فاختلف معهم فى توقيت الوفاة وأكد أنها سابقة على وصول عبد الله إلى أخيه وبالتالي فلم يشهدها، إذ ينص على أنه حينما تلقى عبد الله استدعاء أخيه: "وافى سريعا إليه، فأدخله الخدم إلى أخيه بداخل المضرب، وأوقفوه على وفاته"^(٣٨). فى حين يصر ابن عذارى^(٣٩) وابن الخطيب^(٤٠) - وهما ينقلان عن سبقهما من مؤرخين - على أن الوفاة لاحقة لوصول عبد الله، قائلين: " فلما وصل إليه، وحصل فى المظلة لديه، خرجت فى الحين روحه "، ثم يضيف ابن عذارى أن الوفاة نتجت عن وعكة صحية أصابته " أكرثت نفسه وكدرت أنسه ".

ولا شك أن هذا التأرجح بين ما إذا كانت الوفاة طبيعية مفاجئة، أو أنها ناتجة عن مرض ألم بالمنذر؛ وما إذا كانت سابقة على وصول عبد الله إليه أم لاحقة على ذلك؛ يوحى للقارئ بشيء غير طبيعى يتصل بظروف الوفاة، كما يوحى بأن هؤلاء المؤرخين يحاولون - كل بطريقته - إبعاد عبد الله عن أى شك أو اتهام. وحسبنا تدليلا على ذلك أن ابن القوطية - فى محاولته تبرئة عبد الله - يلقى بتبعية الوفاة على شخص آخر أقرب إلى المنذر منه إلى عبد الله، وهو الفتى ميسور (منصور) طبيب المنذر؛ وبما يفهم منه أيضا أن الوفاة كانت من تدبيره وحده، وبالتالي فهو - من وجهة نظر ابن القوطية - المتهم الوحيد؛ إذ يقول: " إن ميسورا فتاه سم له القطن المعجول فى جرح الفصد، إذ كان قد تهدده لشيئ استقصره فيه، أنه يوقع به عند انصرافه إلى قرطبة، فلما هجم عليه الدم فجر تفجير (هكذا) ضرورة بتره، فعاجله الموت"^(٤١).

ومن ناحية أخرى، فإذا كان ابن القوطية قد أراد بهذا النص تبرئة عبد الله؛ فإنه لم يوفق وورطه أكثر مما برأه. ففى محاولته لتأكيد سبق إصرار الطبيب على اغتيال أميره وحصر الاتهام فيه يقدم للقارئ قرينة تفتقد المصدقية أو المنطقية، وكان أولى به أن يوضح نوعية التقصير الذى ارتقى بالطبيب إلى حد التهديد

بالإيقاع به. ففي اعتقادي ألا يرقى عقاب أى تقصير وظيفي إلى أبعد من العزل، وما أسهله لأمر مع أحد موظفيه. ولو كان هذا التقصير نوعا من الخيانة - وظيفية أو متصلة بحياة الأمير ومستقبل إمارته - لأفصح عنه المؤلف ولبسط القول فيه بسطاً يدعم اتهامه؛ ولما استخدم لفظا يدل على التقصير فقط الذى لا يعنى سوى التواني والتهاون فى الأمر^(٤٢)، ولاستبدله بغيره من الألفاظ الدالة على ما يقصده من معنى، وهى كثيرة لا تخفى عليه وهو الذى كان: " عالما بالنحو حافظا للغة، متقدما فيها على أهل عصره، لا يشق غباره ولا يلحق شأوه "^(٤٣).

ومن ناحية ثالثة، فليس من المنطقي أن يكون مجرد تهديد الأمير مبررا مقنعا يدفع الطبيب إلى جريمة تورده مورد التهلكة، إلا مع توفر ضمانات تعفيه من أى مساءلة أو أدنى عقاب. وإضافة إلى ذلك، فمع افتراض صدق اتهام ابن القوطية للطبيب، فهل يعقل أن يتغاضى عبد الله كلية -وهو الذى آلت إليه مقاليد الأمور بعد أخيه - عن ملاحقة الطبيب والقصاص منه. ولو اتخذ عبد الله تدبيرا ما فى ذلك لما تردد ابن القوطية أو غيره فى الإشارة إليه. وبالتالي فلا ينهض هذا التغاضى وذاك الصمت إلا دليلا على تورط عبد الله فى هذه الجريمة.

لكن لا يعنى عدم الميل مع ابن القوطية إلى حصر الاتهام فى الطبيب تبرئة ساحته كلية، لأن الشواهد تفيد مشاركته فى جريمة ما كان يجرؤ على عصيان مدبرها وهو عبد الله؛ على نحو ما جرى مع طبيب القصر الحرانى الذى لم يجرؤ على عصيان فتى الأمير عبد الرحمن الثانى، حينما أغراه بإعداد شراب مسموم للأمير، مقابل مبلغ لم يجاوز الألف دينار، فاضطر إلى إعداده لكنه احتال بعد ذلك لإبلاغ الأمير وتحذيره من الشراب^(٤٤)؛ وربما ما دفع الحرانى إلى الإبلاغ هو إخلاصه وولاؤه للأمير، أو أنه استقل مكافأة الفتى فطمع فى المزيد من الأمير فأبلغه. أما ميسور فربما كانت مكافأته كافية لإغرائه بالاشتراك فى التآمر على حياة سيده لصالح أخيه عبد الله.

وعلى ذلك يكون مؤرخو القرن الرابع قد قدموا الدليل على تورط عبد الله فى اغتيال أخيه بمشاركة ميسور. وهى جريمة يؤكد مؤرخو القرن الخامس وما بعده الذين يمثلهم ابن حزم^(٤٥) (ت بعد ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م) الذى نقلوا عنه جميعا. ولما كان ابن حزم يستند فى أحكامه - باعتباره صاحب المذهب الظاهرى - على

نصوص الكتاب والسنة، أى على الأصول؛ فقد جاءت معلوماته التاريخية على نفس القدر من التوثيق والتدقيق والوضوح، دون اللجوء إلى الرمز والتمويه أو التأويل، حتى قال عنه ابن الخطيب^(٤٦) بأنه: "كان حجة في الجرح والتعديل على قومه" واستناداً على ذلك يصرح ابن حزم في وضوح لا يحتمل أدنى تأويل بأن عبد الله: "احتال على أخيه المنذر بن محمد على إيثاره إياه، وواطأ عليه حجامه بأن سم له المبضع الذى فصده به، وهو نازل بعسكره على ابن حفصون، فكانت به منيته وتطوق دمه"^(٤٧). وهو ما أكدته من بعده ابن سعيد المغربي (ت ٦٧٣هـ / ١٢٧٤م) بقوله أن عبد الله: "دس إلى الفاصد مالا على أن يسم المبضع ففعل فمات المنذر"^(٤٨). وبهذا الوضوح يلقي مؤرخو القرن الخامس وما بعده بالاتهام الصريح على عبد الله كمدير لاغتيال أخيه، وإشراكه الطبيب معه في هذه الجريمة، لقاء مبلغ من المال لم يحدوا قيمته، وإن لا يخالجنا أدنى شك في أنه كان على قدر جسامته المخاطرة.

وتبرئة لمؤرخى القرن الخامس وما بعده من تهمة التحامل على عبد الله؛ ففي طيات روايات مؤرخى القرن الرابع أنفسهم - وهم الموالون لبنى أمية - من الإشارات عن تصرفات عبد الله منذ وصوله إلى أخيه حتى اعتلاء عرشه، ما يؤكد صدق اتهامه بتدبير اغتيال أخيه بمشاركة الطبيب، إضافة إلى مشاركة عناصر أخرى من الفتيان^(٤٩) والموالى ورعوس بعض الأسر المناهضة للمنذر. ففي إشارة هؤلاء المؤرخين إلى نبأ وصول عبد الله إلى أخيه المنذر في ميدان القتال، يذكرون أنه تباطأ في مقابلته حيث اتجه إلى قبته فدخلها ولم يغادرها، وبينما هو: "قاعد في قبته إذ دخل عليه الفتيان، فقالوا له أجب الأمير، فأتى فدخل السرادق على أخيه المنذر، فألفاه ميتا فترحم عليه"^(٥٠). فمثل هذا التباطؤ في لقاء أخيه فور وصوله إلى ميدان القتال، لا يتفق وحرص الموقف الذى كان يتطلب المسارعة إلى لقائه، بنفس سرعته - كما يشير المؤرخون أنفسهم - فى النهوض إليه حين استدعاه من قرطبة. وفي ذلك ما يوحى بأنه تباطؤ مقصود حتى ينتهى الطبيب مما كلف به؛ وحسبنا فى ذلك أنه ما أن أنهى الطبيب مهمته حتى سارع الفتيان إلى عبد الله فى قبته، واستدعوه ليوقفوه على موته؛ فلما تأكد من وقوع الوفاة، تقدموا إليه وأجلسوه على العرش مكانه^(٥١).

هكذا برز دور الفتيان أيضا فى التآمر على أميرهم المنذر؛ مع أن مهمتهم تأمين حياته وعرشه، لأنهم كانوا ينشئون حسب مشيئة الأمير والذوبان فى الولاء

له، ليكونوا جنده وخدمه فى شتى شئون القصر والحكم؛ بحيث شكل فريق منهم ما يشبه جهازا استخباريا كعيون للسلطة، تغلغت على كل المستويات لتتبع الأخبار، والإبلاغ عن أى حركات تمس حياة الأمير أو عرشه؛ على النحو الذى نعرفه منذ أيام الحكم الأول الذى كانت له: "عيون يطالعونه بأحوال الناس"^(٥٢). والدلائل تشير إلى دورهم الهام فى كشف حالات التآمر وقلب نظام الحكم قبل استكمالها، منذ أوائل عهد الإمارة أيام عبد الرحمن الداخل^(٥٣)، ومن بعده ابنه هشام^(٥٤)، وانتهاء بعبد الرحمن الثالث^(٥٥)، أى على امتداد حكم أمراء بنى أمية أجمعين.

فى حين شكل فريق آخر منهم جهازا أمنيا - حرسا خاصا - لتأمين حياة الأمير ودار إمارته، منذ أيام الحكم الأول الذى كان له ألفا فارس يرتبطون على باب قصره وحده^(٥٦)؛ من إجمالى أعداد الفتيان التى بلغت فى عهده خمسة آلاف، منهم ثلاثة آلاف فارس وألفا راجل^(٥٧). وتشهد الدلائل التاريخية أن هذا الحرس تمكن من إجهاض كل المؤامرات على أيام الأمراء الأوائل ووأدها، وأطاح برعوس مدبريها مهما كانت درجة قرابتهم. وإضافة إلى ذلك شكل فريق ثالث من الفتيان فرقا فى الجيش تتولى مطاردة المتآمرين خارج نطاق العاصمة والقضاء عليهم؛ مثلما حدث حين التصدى لسليمان وأخيه عبد الله فى منازل عتمة أخيهما هشام، ومن بعده ابنه الحكم^(٥٨).

لكن مع بداية الضعف الذى اعترى الإمارة منذ أواخر عهد عبد الرحمن الثانى، فقد تمكن رعوساء الفتيان من الهيمنة على مقدرات الحكم وشئون القصر والحرس الخاص؛ وصارت لهم يد طويلة فى توجيه الأمور، وفى نقل السلطة إلى من يرغبون من أفراد الأسرة الحاكمة. وحسبنا فى ذلك دورهم الخطير فى إخفاء نبأ وفاة الأمير عبد الرحمن الثانى، وفى تمكين ابنه محمد من عرشه، مستغلين فى ذلك ما كان بينه وبين أخيه من تنافس بما يخدم مصالحهم السياسية والاقتصادية^(٥٩)، دون اعتبار لولاية العهد. ومن هنا لم يكن بجديد عليهم أن يشاركوا عبد الله فى اغتيال أخيه المنذر وإجلالته على عرشه.

وعلى كل، فما أن اجلس الفتيان عبد الله مكان أخيه، حتى استدعى إليه سرا من حضر من الوزراء والخدم والموالى: "وعرفهم خبر الحدث على أخيه، ودعاهم إلى البيعة له"^(٦٠)؛ فبايعوه. وحينذاك تقدم إليه بعضهم وأشار عليه بأن يبقى على سرية

وفاة أخيه عن عامة الجند، ويوارى جثمانه في مكان غامض عليهم، ليواصل قتال ابن حفصون، حتى لا يقع الاضطراب بين صفوف جنده بما يطمع فيهم ابن حفصون؛ لكنه من أسف أنف من هذا الرأي: "وأنكره على المشير به عليه"^(٦٠)، في وقت كان أولى به - وهو الذي استدعى لمواصلة القتال - أن يصغى له.

وبإصرار عبد الله على أخذ البيعة لنفسه في ميدان القتال، من الخدم والموالي والقرشيين فقط، يكون قد انتهك مبدأ ولاية العهد وتقاليد أسلافه في نقل السلطة بالعاصمة وليس بميدان قتال، في سابقة خطيرة تنهض أيضا دليلا على أنه لم يكن المرشح الشرعي لخلافة أخيه؛ وإلا لاقتدى بما فعله حينما لم يفكر في أخذ بيعته - وهو ولي العهد - في ميدان القتال، لما جاءت أنباء وفاة أبيه محمد؛ وإنما عاد إلى العاصمة باعتبارها مقر مراسم نقل السلطة، حيث أجريت مراسم توليه الحكم؛ وبالطريقة التي جرى عليها أسلافه، مثلما أشرنا من قبل.

لم يكن ذلك كل ما فعله عبد الله وهو في ميدان القتال - طبقا لما يرويهِ مؤرخو البلاط أنفسهم - وإنما اتخذ إجراءات سرية فورية يضمن بها إبقاء العاصمة قرطبة تحت السيطرة لحين وصوله إليها. فيشير هؤلاء المؤرخون إلى أنه بادر بالكتابة إلى أكبر أبنائه فيها يأمره: "بالدخول إلى قصر قرطبة وضبطه، وخلافته بالحضرة إلى أن يلحق به"^(٦٢). وفي ذات الوقت لجأ إلى الاستفادة من خصوم أخيه المنذر فيها، ليكونوا عوناً لابنه في مهمته، ولذلك كانت تعليماته قد سبقت إلى صاحب قرطبة أيضا يأمره بإطلاق سراح أبناء الوزير هاشم بن عبد العزيز و أقربائه و حاشيته من السجن، لكن بدلا من صلبهم كما أمره المنذر من قبل فعليه أن يضمهم إلى ابنه في القصر، ليكونوا على رأس مستقبله على باب السدة حين وصوله^(٦٣).

وبهذا القرار استغل عبد الله محنة بنى هاشم ليأسرهم في وقت كانوا - كما يقول ابن القوطية - ينتظرون فيه البلاء^(٦٤)، ولذلك لا نتوقع أن يترددوا في إنجاز ما كلفوا به عن طيب خاطر؛ وليس أدل على ذلك من أن عبد الله لم يلبث أن أعاد إليهم كل ما صودر من ضياعهم على عهد أخيه المنذر، ثم عهد بحكم كورة جيان إلى عمر ابن هاشم، وإلى أخيه محمد بالوزارة والقيادة معا^(٦٥)، وبذلك بدأ نجم سعدهم يعلو ثانية في بلاط قرطبة منذ ذلك الحين فصاعدا.

بمثل هذه الإجراءات نجح عبد الله ولا شك في تأمين أوضاع العاصمة إلى حين وصوله إليها، لكنها أنسته في ذات الوقت أمر قواته التي كانت لا تزال في الميدان مقيمة حول أسوار القلعة. فلم يتخذ إجراء ما يبقى على تماسكها في وقت ملت فيه طول الحصار وسئمت القتال^(٦٦)؛ أو يرفع درجة استعدادها للتصدى لأي هجوم مباغت من ابن حفصون وهي على تلك الحال؛ وأصبحت قراراته من هذه اللحظة وحتى وصوله إلى قرطبة بشأن قواته مرهونة بمجريات الأحداث. ذلك أنه لم تلبث أنباء وفاة أخيه تتسرب إلى حشودهم حتى دب الهرج والفوضى بين صفوفها، فانصدعت حشودهم وتفرقوا عن كل ناحية كانوا مرتبين لها من نواحي الحصار؛ وعبثا حاول عبد الله بقرارات مرتجلة: "ضبطهم وعقد ما انحل من ربطهم"^(٦٧). وحينما بدا للوزراء انفلات الأمر من بين يديه أشاروا عليه بضرورة الرحيل، بحجة أنه لم يعد بمنزل إقامة لتفرق العامة وكثير من الخاصة عنه؛ فلم يتردد في الأخذ برأيهم هذه المرة؛ وأصدر أوامره بالاستعداد للرحيل. لكنه لم ينتظر حتى تصل هذه الأوامر إلى الجند المنتشرين حول سور القلعة، ويطمئن على تأمين الانسحاب؛ وإنما نهض من فوره بمن بقي من الأمويين وضباط القصر قافلاً إلى قرطبة، ومعه جثمان أخيه محمولاً على ظهر بعير^(٦٨).

وبهذه السرعة أخلى عبد الله مع خاصته ميدان القتال، قبل أن تخليه حشود الكور ووفود القبائل كلية؛ فما كان من ابن حفصون إلا أن انقض على من تباطأ منهم، وعاث فيهم وانتهبهم حتى أربكهم، واستولى على ما خلفوه هم ومن سبقوهم في الرحيل من عتاد وعدة؛ ثم أرسل بعضاً من قواته في ركاب قافلة عبد الله لمهاجمتها. ولما كان الأخير في عجلة من أمره ليصل قرطبة بالسرعة الممكنة، لإتمام إجراءات تنصيبه، فقد لجأ إلى مراوغة ابن حفصون وملاينته، تحاشياً لأي اشتباك يؤدي إلى تعطيله؛ ولذلك أرسل غلامه فرتون ليفاوضه كسباً للوقت، ويسأله الكف والتوقف عن التعرض له في مقابل وعده بالصفح والتألف^(٦٩)؛ حال إتمام إجراءات توليه السلطة.

حينذاك رأى ابن حفصون أن جلال الموكب الجنائزي يقتضيه ألا يكون متمرداً جبانا، فنأى عن التعرض للموكب وانسحب إلى قلعته، في وقت لاحت فيه مشارف قرطبة لعبد الله فتتفس الصعداء؛ خاصة وأن قواته تناقصت بشكل ملحوظ

لتفرق معظم مرافقيه عنه على طول الطريق، بحيث أنه دخل قرطبة ولم يكن إلا في نحو أربعين راكبا فقط من صميم قریش ووجوه الموالى، فتوجه بهم مباشرة إلى القصر ليوارى جثمان أخيه، ثم بادر إلى استكمال بيعته من خاصة المدينة وعامتها، وممن بقى على الطاعة فى كور الأندلس ^(٧٠). وحينذاك فقط وقرت عين عبد الله بانتزاع عرش أخيه والاستيلاء عليه، وهو ما عبر عنه المؤرخ سكن بن إبراهيم بقوله: " استولى على الأمر... واستقل بالدولة " ^(٧١)؛ وفى استخدام هذا المؤرخ للفظى " استولى و استقل " مدلولاً خاصاً يختلف عن مدلول كل من: اعتلى و ارتقى و تولى و خلف، التى اعتاد المؤرخون الأوائل استخدامها إذا ما انتقل العرش من أمير إلى آخر طبقاً للتقاليد المتبعة. أما المنذر فصار عند الناس كما يقول ابن عذارى: " أهون مفقود وأيسر هالك " ^(٧٢).

وهنا يتساءل المرء عما أوصل علاقة الأخوين إلى هذا الحد من التدهور ؟ وأين موطن الخلل؟ أفى المنذر فاستحق سفك دمه وانتزاع عرشه، أم فى أخيه عبد الله فصار عدوانيا حتى مع أقرب الناس إليه ؟. وربما تكون الإجابة على ذلك فى التعرف على الملامح العامة لشخصية كل منهما.

أما عن المنذر فلم نصادف أحدا من المؤرخين الأوائل أو أصحاب التراجم إلا وأثنى عليه وأشاد به. ففى إطار علاقاته بإخوته وأقاربه يذكرون أنه كان يحبهم و يكرمهم، ويدنى مجالسهم ويصلهم ويحضرهم مجالس أنسه ^(٧٣)، وبخاصة عبد الله الذى كانت له مكانة خاصة عنده ^(٧٤)، بحيث كان يشركه فى أمور هامة؛ فقد أنابه عنه فى مدينة قرطبة حينما خرج لمنازلة ابن حفصون ^(٧٥)؛ كما اختصه من دون بنيه وأخوته لينوب عنه فى مواصلة القتال إن اتصل مرضه حين وعكته الصحية مثلاً أشرنا من قبل. وأما عن ملامح شخصية المنذر العامة، فتتضح من خلال ما يعقده المؤرخون بينه وبين أسلافه ممن سبقوه؛ إذ يؤكدون على أن أحدا منهم لم يكن فى شجاعته وصرامته وحزمه، حتى أنه أنجز فى عام واحد ما لم يبلغه أحد منهم فى أعوام مديدة، ولذلك توقعوا أنه لو طال به العمر عاما واحداً آخر، لقضى على كل عوامل التمرد فى منطقة الجنوب الأندلسى، دون أن يبقى فيها متمرداً واحداً بمن فيهم ابن حفصون نفسه ^(٧٦).

وأما عن أخيه عبد الله فكان لنفس المؤرخين شأن آخر؛ فمؤرخو القرن الرابع ممن وصلتنا كتاباتهم - وهم مؤرخو البلاط كما نعلم - أفرطوا في الثناء عليه، بحيث رسموا له صورة أقرب إلى المثالية منها إلى الواقعية؛ سواء في تدينه وورعه وتقواه، أو في حرصه على توخي العدالة في كافة الأحكام؛ أو في تواضعه واقتصاده في هيأته وأمور حياته الخاصة منها والعامة؛ وفي إنكاره الإسراف وأهله^(٧٧)؛ وهو اقتصاد أرجعوه إلى حرصه على توفير أموال الدولة، التي تدهور اقتصادها إثر انتشار الفتن والثورات في أنحاء البلاد، ونقصان ما كان يرد إلى بيت المال من أموال الخراج وغيره^(٧٨). ثم يخلص هؤلاء المؤرخون إلى اعتباره: " من أصلح خلفاء بنى أمية بالأندلس، وأمتلهم طريقة، وأتمهم معرفة، وأمتهم ديانة " ^(٧٩).

وكان يمكن لهذا الإفراط في الثناء ألا يستوقف الباحث، لو لم يكن صادراً عن مؤرخى البلاط؛ لا سيما وأن أحدهم - وهو معاوية بن هشام الأموى المعاصر للأمير - يقدم دليلاً من عصر عبد الله نفسه، يؤكد وجود فريق آخر من غير مؤرخى البلاط يقدره في شخصية الأمير، بما ينفي الشفافية والمثالية التي يصورها مؤرخو البلاط. إذ بعد ما يعدد معاوية محاسن أميره ومآثره، ينص صراحة في معرض الدفاع عنه أن هناك من: " نخلوه الرياء تحت قناع التقوى، وطوقوه البخل طبيعة لا تزال تخطه أبداً ... فلم يكن يرجى غدق ندائه ولو أن البحر خزائنه، فغمصوا دينه بما كان من هوان الدماء عليه، وإسراعه إلى سفكها حتى من ولديه وإخوته ومن خلفهما من صحابته ورعيته، أخذوا لأكثرهم بالظنة، مقويا في إتيانهم بالشبهة، أخبارهم معه في سوء المصارع معروفة، وأثبتوا شدة بخله بأبين من ذلك من مشهور قبضه لكفه على القريب والبعيد، وضنه بالقليل من الربح على الولي الحميم " ^(٨٠).

ومن هذا النص يتضح أن ما اعتبره مؤرخو البلاط اقتصاداً، لم يكن من وجهة نظر القادحين المعاصرين لعبد الله نفسه إلا بخلاً؛ ويدللون على تأصله فيه بما يوردونه من تفاصيل لبعض مواقفه مع ولي عهده وغيره^(٨١). وهو ما يؤكد عرضاً مؤرخو البلاط أنفسهم حين حديثهم عن طبيعة إنفاقه على مشروعات البناء والتشييد؛ إذ يذكرون أنهم لا يعرفون له، على مدار حكمه الذى بلغ ربع قرن، أى بناء غير منية الناعورة على شط نهر قرطبة: " فاقتصد مع ذلك فى الإنفاق عليها اقتصاداً كان

مشبهاً بفعله في جميع شئونه " ^(٨٢)؛ إضافة إلى منية نصر التي اصطفاها لنفسه على شط نفس النهر؛ ومع أنه كلف بها فشيء بنيانها إلا أن ذلك كان: " في حد الاقتصاد والاختصار اللذين لم يفارقا مذهبه - أي بخله - فيهما " ^(٨٣).

كما أن ما اعتبره مؤرخو البلاط ورعا وتقوى، فهو في رأى القادحين رياء ونفاقاً؛ وساقوا في ذلك قصة بنائه الساباط " وهو ممر مغطى بين قصره ومقصورته بداخل المسجد بما يضمن انتقاله سراً بينهما، كدليل على ريبته في رعيته ريبة جعلته يحتجب عنهم بهذا البناء خوفاً على نفسه منهم؛ وليس احتراماً لمشاعرهم كما يرى مؤرخو البلاط ^(٨٤)؛ إذ كان يخرج منه: " مستتراً عن الناس..... في خاصة من خدمه الخصيان وبطانته في خفية... لا يراه أحد في مجيئه ولا انصرافه " ^(٨٥).

يضاف إلى ذلك أن ما رآه القادحون إساءة إلى تدينه ودينه، بسبب دمويته وهوان الدماء عليه وإسراعه إلى سفكها لأدنى شبهة أو مظنة، حتى في أقرب الناس إليه، فكانت امتداداً لريبته وشكوكه. وإذا كان مؤرخو البلاط عجزوا عن درء هذه السيئة عنه فقد أكدها فيه مؤرخو القرن الخامس الهجري، الذين يمثلهم ابن حزم بقوله أنه: " كان قتالا تهون عليه الدماء... فإنه احتال على أخيه المنذر بن محمد على إيثاره إياه، وواطأ عليه حجامه بأن سم له المبضع الذي فصده به، وهو نازل بعسكره على ابن حفصون، فكانت به منيته وتطوق دمه، ثم قتل ولديه معا بالسيف واحداً بعد آخر، محمداً والد الخليفة الناصر لدين الله، وأخاه عدوه المطرف، ثم قتل أخوين له معا أيضاً، قتل هشام بالسيف، والقاسم أخاه بالسم، إلى قتله من غيرهم " ^(٨٦). ويعلق المؤرخ ابن الخطيب على سيئة عبد الله هذه بقوله: " ولا أوحش الله من دنيا تطيب بعد قتل ولد ولو أن صحبتها إلى غير أحد " ^(٨٧).

حقيقة لم يكن عبد الله أول من أسرع إلى سفك الدماء أو آخرهم، إذ تحفل أحداث التاريخ في كل زمان بمثل هذه القصص؛ وهي حقيقة نبه إليها ابن الخطيب بقوله أن: " سوق الملك لا ينكر فيها أمثال هذه البضائع " ^(٨٨). ولنا في حكام الأندلس أنفسهم - من السابقين على عبد الله أو اللاحقين عليه - خير شاهد على ذلك، فمن ينكر اصطباغ عهد عبد الرحمن الداخل بصفة عامة بلون الدم، بحيث أن تدرج الرعوس المقطوعة لم ينقطع على مدار حكمه الذي استمر نحواً من ثلاثة وثلاثين عاماً؛ لا سيما رعوس المتأمرين عليه من أقاربه مع من شاركهم، مثلما سبقت

الإشارة. ومن ينكر دموية حفيده الحكم الأول أيضا على مدار حكمه، سواء مع أفراد أسرته أو غيرهم من المتأمرين أو المتوثبين عليه ^(٨٩). ونفس هذه الدموية والوحشية ورثها عبد الرحمن الثالث من جده عبد الله؛ وهو ما يؤكد ابن الخطيب بقوله: " طرق ما طرقه جده ... شديد الجراءة على الدماء، مرهوب السطوة... تقيل العقاب والسخطة " ^(٩٠)؛ وهى صفات يؤكد لها فيه أيضا صاحب ذكر بلاد الأندلس بقوله إن مساندة أكثر أهل قرطبة لابنه عبد الله حينما أراد القيام عليه، لم تكن إلا تعبيراً عن: "إنكار جور أبيه وإقدامه على سفك الدماء" ^(٩١). وحسبنا دليلاً على تأصل دموية عبد الرحمن الثالث ووسطوته قصته مع ابنه المذكور حينما اكتشف تأمره ضده، فأودعه السجن حيناً حتى يفرغ من قتل كل من آزره؛ فلما فرغ منهم أخرجه من السجن، لا ليفرج عنه وإنما ليذبح بين يديه وعلى مرأى من جموع المصلين المحتشدة ثانى أيام العيد ^(٩٢). وقصصه مع كثير من أفراد أسرته الأموية، مثل عمه القاضي بن محمد وابن عمه محمد بن عبد الجبار اللذين لم يتردد فى الإطاحة برأسيهما؛ إضافة إلى سطوته مع بنى إسحق المروانيين جميعاً ^(٩٣). وقصته مع إحدى جارياته التى يروىها أحد شرطته قائلاً إنه استدعى إلى القصر فى جوف الليل، فإذا بعبد الرحمن يأمره بضرب جارية لا نظير لها فى الدنيا وهى تسترحمه فلا يرحمها ^(٩٤)، وكأن دماءها هى التى ستروى تعطشه إلى الدماء.

ومع ذلك فمن الإنصاف التنويه بأنه لولا دموية ووحشية هؤلاء الحكام فى قمع المتمردين والمتأمرين مهما كانت درجة قرابتهن؛ لما استطاعوا إقرار أمور دولتهم. وعلاوة على ذلك فما كان أحد منهم مغتصباً لعرش أو متأمراً عليه، وإنما اعتلاه بطريقة دستورية فكان عليهم حمايته والدفاع عنه. وهنا يكمن الفارق بينهم وبين عبد الله، الذى سولت له دمويته أن يتأمر على أخيه المنذر فيغتاله ويغتصب عرشه؛ وهو ما أورثه حالة مرضية من فقدان الثقة وسوء الظن والارتياب فى كل من يحيطون به، جعلته لا يحفل فى قليل أو كثير بحياة أى منهم، أبناء كانوا أو أخوة ومن عداهم ممن توهم أنهم يشكلون خطورة على العرش الذى اغتصبه، فهانت عليه دماؤهم. وهنا يمكن القول فى تركيز أخير أنه إذا صدق هوان دماء ابنه محمد والمطرف وأخويه هشام والقاسم، فلا يبقى أدنى شك فى أن يكون دم أخيه المنذر قد هان عليه من قبل، وبالتالي فلا بد أن نتوقف قليلاً عند قصته مع ابنه وأخويه هؤلاء.

يشير المؤرخون أن عبد الله كان يؤثر محمدا إيثارا حرك حفيظة أخيه المطرف عليه. وأن الأيام لم تزد هذه الحفيظة إلا جفوة فنفورا فعداوة؛ لا سيما حينما رشح عبد الله محمدا لولاية عهده. وحينذاك لم يجد المطرف إلا أن يدس عليه عند أبيه، مستغلا فيه سوء ظنه وارتبابه؛ حتى أوغر صدره عليه. وحينما شعر محمد بشدة وطأة وحشة أبيه من ناحية وعداوة أخيه من ناحية أخرى، لم يجد أمامه إلا أن يفر إلى ابن حفصون لعله يجد عنده مأمنا. لكنه لم يلبث أن أدرك سوء تصرفه، فبادر بالاتصال بأبيه ملتسما عفوه حتى عفا عنه وسمح له بالعودة إلى قرطبة؛ إلا أن عودته أزعجت المطرف من جديد، فعاود الإغراء به متهما إياه هذه المرة بأنه لا يزال على اتصال بابن حفصون ليسانده في القيام على أبيه. وحينذاك لم يجد عبد الله إلا أن يقبض على محمد ويودعه السجن؛ ومع أن التحريات أثبتت عدم صحة اتهامات أخيه له فلم يغير عبد الله رأيه فيه وأبقاه في سجنه، إلى أن استغل المطرف فرصة دخل عليه فيها السجن، فأجهز عليه وتركه متخبطا في دمه ملقى على وجهه وفمه، في العاشر من شوال عام ٢٧٧ هـ / ٢٥ يناير ٨٩١ م^(٩٥).

ومع أن بعض المؤرخين يذكرون أن النبأ وقع على عبد الله وقعا شديدا، وهم بقتل المطرف، لولا تدخل بعض المقربين منه حتى أثنوه عن ذلك^(٩٦)؛ فإن الدلائل تشير بأن اغتيال محمد لم يتم إلا بموافقته، وذلك استنادا على ما دار بينه وبين ابنه المطرف عقب الاغتيال مباشرة، إذ قال له: "لقد سوغتك قتل أخيك محمد إذ عاند وخالف"، ثم حذره من المساس بوزيره عبد الملك ابن أمية قائلا له: "وبالله لئن أحدثت في ابن أمية حدث لأقتلنك به"؛ وفي ذات الوقت استدعى الوزير وحذره هو الآخر من ابنه بقوله: "لا يجمعنك به السرادق ولا تراه إلا على ظهر دابتك"^(٩٧) أي ممتطيا جوادك مستعدا لقتاله. ويرجع السبب في هذا التحذير أن عبد الله كان يعلم أن ابنه المطرف يدبر قتل الوزير، لاعتقاده بأنه هو الذي صرف عبد الله عن البيعة له إلى أخيه محمد^(٩٨).

على أن هذا التحذير لم يمنع القدر، فقد حدث أن خرج الوزير ومعه المطرف، عقب ربيع الآخر عام ٢٨٢ هـ / ٢٨ يونيو ٨٩٥ م، في حملة لإخضاع ثورة مدينة إشبيلية، وقبل أن يدركاها راسل المطرف زعماءها يقبح لهم رأى الوزير فيهم، ويعرض عليهم مؤازرته في خلع أبيه مقابل تخليصهم من الوزير، إذ كان من بين ما كتبه إليهم: "قد عرفتم عداوة ابن أمية لكم، وقبح أياديه عندكم أيام

ولايته لكم، وهو على تلك الطريقة حتى الآن بإغراء الأمير - أبقاه الله - لكم، فإن أرحتكم منه تخرجوا إلى " (٩٩).

وما أن تلقى موافقتهم على عرضه حتى وثب على الوزير وقتله على بعد ميلين من إشبيلية (١٠٠)، وحينذاك انضموا إليه وتقدموا معه نحو شذونة؛ ليجمعوا طاعتها إلى طاعتهم لمعاونة المطرف في خلع أبيه. فلما نمت هذه الأنباء إلى الأمير سارع إلى تحذير زعماء شذونة من مغبة الأمر، ودعاهم إلى الانفضاض عن ابنه؛ فتراجعوا عن مؤزارته ورفضوا إدخاله مدينتهم وبذلك أيقن المطرف بانكشاف أمره، واضطر أن يكتب إلى أبيه يتبرأ من دم الوزير ويسأله العفو والأمان (١٠١).

أعطى عبد الله ابنه ما سأل من أمان، لكنه لم يلبث أن قرر التخلص منه؛ لا سيما وقد نمت إليه تصرفات وأفعال قبيحة منه أكدت غائلته عليه؛ وكان ممن سعى في قتله الحاجب سعيد ابن السليم (١٠٢)، ومعاوية بن هشام الذي كاشف الأمير بما أزعجه من أمر ابنه (١٠٣). ثم كانت قاصمة السعايات من وجهاء قرطبة وفقهائها، وكانوا قد ذهبوا للتسليم على المطرف مهنيين بقفوله من غزوته وتأمين أبيه له، فلما انصرفوا من داره قال لكاثبه: "إن عشت قليلا لأطعمنك إسفريا من لحوم هذه الجزر، ما أكلت مثلها قط" (١٠٤)، فنقل الكاتب ذلك إليهم فأجمعوا على التدبير ضده؛ وقصدوا الحاجب ابن السليم وأبلغوه: "أنا قد بغينا على الجلاء عن دورنا بإخافة مطرف لنا، ورغبته إلينا في البيعة له وخلع أبيه، فإن كنتم تحموننا وإلا صرنا إلى الجلاء؛ فمعنا علوم لسنا نفقد من يكرمنا بها حيث توجهنا" (١٠٥). فلما أبلغ الحاجب الواقعة للأمير وجه من فوره صاحب المدينة وصاحب الخيل للقبض على ابنه؛ وما أن تمكنا منه حتى ساقه صاحب المدينة إلى دار الوزراء؛ إلا أن الحاجب أمره بأن يرجع به إلى داره، فيضرب رقبتة ويدفنه تحت الريحانة التي كان يشرب تحتها الخمر (١٠٦).

وبذلك تم اغتيال المطرف بأوامر أبيه ثارا منه بأخيه محمد و بالوزير (١٠٧)، وذلك في العاشر من رمضان عام ٢٨٢هـ / الثاني من نوفمبر عام ٨٩٥م (١٠٨)؛ أي بعد عودته من حملة إشبيلية بشهر واحد وستة عشر يوما، وكان ابن سبعة وعشرين سنة، أي نفس عمر أخيه محمد، إذ كان بينهما في المولد خمس سنين عاشها المطرف بعده؛ وكان عبد الله أراد له بذلك ألا يعيش أطول مما عاش أخوه وقتيله محمد.

ولم يكن مصير أخوى عبد الله - هشام والقاسم - بأفضل من مصير ابنيه محمد والمطرف؛ فلم يفلتا أيضا من سطوته بسبب سوء ظنه وارتيابه، فتخلص منهما لأدنى شبهة فيهما. وكان دور هشام عقب اغتيال المطرف بعامين فقط، إذ كانت له وآخرين معه كما يذكر ابن حيان: " قصة عظيمة رموا فيها بالقدرح " (١٠٩) على الأمير؛ فلم يتوان الأمير عن حبسهم داخل القصر مدة، ثم استثنى منهم هشاما فقتله فى الثانى عشر من شعبان عام ٢٨٤هـ (١١٠) / الخامس عشر من سبتمبر عام ٨٩٧ م. أما أخوه القاسم فقد اتهم هو الآخر بالتآمر عليه، ولما كثرت عنه الأقاويل فى ذلك قرر عبد الله: " بمقتضى السياسة وحكم التدبير والسياسة " (١١١) أن يودعه السجن إلى أن يقرر طريقة التخلص منه، التى لم تكن سوى دس السم له (١١٢).

وعلى هذا النحو لم يتردد عبد الله فى سفك دماء أخويه وابنيه، لأسباب دارت كلها حول شبهات تدبير اغتياله وقلب نظام الحكم؛ وبالتالي فلم يجانب الصواب المؤرخين حينما وصفوه بأنه كان قتالا تهون عليه الدماء، لا فرق عنده بين ابن أو أخ، مسرعا إلى سفك دمائهم لأدنى شبهة، وهى عقدة أورثته إياها اغتياله أخيه المنذر من قبل وانتزاع عرشه. كما يتأكد أيضا الشك الذى طرحه المستشرق الهولندى دوزى Dozy (١١٣) منذ أكثر من قرن ونصف، ولكنه توفى قبل أن يجد من ينفى له شكه أو يؤكد.

وهنا لا يبقى سوى استفسار أخير عن موقف أبناء المنذر من اغتياله وانتزاع عرشه؛ وهو ما تصمت عنه المصادر صمتا تاما؛ بما يوحي أنهم استكانوا للأمر الواقع، وتقاعسوا عن المطالبة بالقصاص له أو على الأقل بعرشه. والإجابة على ذلك جد صعبة؛ وربما تكمن فى أحد احتمالين أو كليهما معاً. أحدهما يرجع إلى طبيعة شخصيتهم التى ربما كانت على شاكلة أخيه محمد، الذى يوصف - كما أشرنا من قبل - بأنه من أكمل رجال البيت الأموى خلقا وعقلا وأدبا تاما. فمثل هذه النوعية تفتقد إلى القدرة أو الشجاعة التى تؤهلها للثبات فى وجه العواصف دون أن تلين؛ لا سيما وأنهم صاروا خارج إطار السلطة، وفقدوا الأنصار والأتباع.

أما الاحتمال الثانى، فربما لم يجدوا أدنى إغراء للتضحية فى سبيل عرش يتداعى وسلطة تتلاشى؛ لأن السلطة المركزية فى قرطبة - وقت أن أفضت الإمارة إلى عبد الله - كانت قد اختلت وانتكست لأول مرة منذ ارتباطها بالأسرة

الأموية؛ وتراجع نفوذ قرطبة ومعه ذلك الوهج الذي تألقت به في ظل أمرائها الأوائل؛ وهو ما حدا ببعض المؤرخين المحدثين إلى أن يطلقوا على هذه الفترة مصطلح عهد الفتنة الكبرى^(١١٤) أو عصر دويلات الطوائف الأولى^(١١٥)، مقارنة بعصر ملوك الطوائف الذي أعقب سقوط الخلافة عام ٤٢٢هـ / ١٠٣١م. ولعل في التسمية تعبيراً واضحاً عن مدى ما اجتاحت البلاد من موجات انفصالية متزامنة ومتلاحقة، حتى مزقت أوصالها وحولتها إلى دويلات صغيرة، ازدادت أهميتها أو قلت بحسب نفوذ الأسر المهيمنة عليها. وبات واضحاً عجز السلطة في قرطبة عن مواجهة هذا التيار الجارف الذي هب عليها من كل الجهات، حتى نشرت المأساة أجنحتها السوداء على الأندلس الأموية المنهكة المتداعية؛ وأخذت تتراقص أشباح النهاية منذرة بشر مستطير، وبأن زوال السيادة الأموية بات على بضع خطوات؛ بحيث لم تكن تتعدى سلطة الأمير إقليم قرطبة وحده كأي إقليم آخر في الإمارة. وهو ما فصله كل من ابن عذارى^(١١٦) وابن الخطيب^(١١٧) في نصين بليغين لا يحتاجان إلى أدنى تعليق.

ومجمل القول، أنه لا مجال للشك في أن يتطوق عبد الله دم أخيه المنذر وذلك باغتياله وانتزاع عرشه؛ دون أدنى اعتبار لرابطة الدم أو لتقاليد أسلافه في نقل السلطة إلى خلفائهم؛ وهو ما ترتب عليه انتقال عرش الأندلس من ذرية المنذر إلى ذرية أخيه عبد الله، التي ظلت تتداوله حتى زالت على أيديها السيادة الأموية كلية عن البلاد عام ٤٢٢هـ / ١٠٣١م، فخرس الأمويون بذلك سلطان الأندلس، وكانت خسارة الأندلس فيما بعد أمر وأكبر.

- (١) ابن عذارى، البيان المغرب، نشر وتحقيق كولان وليفي بروفسال، أبريل ١٩٥١م، ٢ ص ٦٠؛ ابن الخطيب، تاريخ إسبانيا الإسلامية، تحقيق ليفي بروفسال، ط٢، بيروت ١٩٥٦م، ٢ ص ١١؛ المقرئ، نفح الطيب، تحقيق إحسان عباس، بيروت ١٩٦٨م، ١ ص ٣٣٤؛ النويرى، نهاية الأرب، تحقيق أحمد كمال زكى، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠م، ٢٣ ص ٣٥٢-٣٥٣؛ وإن كان ابن الأثير (الكامل فى التاريخ، راجعه وصححه محمد يوسف الدقاق، ط٣، بيروت ١٩٩٨م، ٥ ص ٢٨٠، ٢٨١) وابن خلدون (العبر وديوان المبتدأ والخبر، ط١، المكتبة العلمية ببيروت ١٩٩٢م، ٤ ص ١٤٩) يذكران أن عبد الرحمن عهد إلى ابنه هشام بولاية عهده.
- (٢) المقرئ، نفح، ١ ص ٣٣٤؛ ابن الأثير، الكامل، ٥ ص ٢٨٠.
- (٣) مجهول، ذكر بلاد الأندلس، تحقيق وترجمة لويس مولينا، مدريد ١٩٨٣م، ١ ص ١٢٤؛ المقرئ، نفح، ١ ص ٣٣٨؛ ابن حزم، نقط العروس فى تواريخ الخلفاء، تحقيق شوقى ضيف، مجلة كلية الآداب جامعة فؤاد الأول، المجلد ١٣ الجزء الثانى، ديسمبر ١٩٥١م، ص ٦٠.
- (٤) ابن حزم، نقط، ص ٦٠.
- (٥) ابن حيان، المقتبس الثانى، مخطوط مكتبة الأكاديمية الملكية بمدريد ١٩٩٩م ص ٥٤، ٥٥؛ ابن عذارى، البيان، ٢ ص ٧٧؛ ابن حزم، نقط، ص ٥٥، ٥٩، حيث يضيف أن عبد الرحمن خلع أخاه المغيرة فيما بعد.
- (٦) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق عبد الله الطباع، بيروت ١٩٥٨م، ص ٩٦.
- (٧) ابن الخطيب، تاريخ، ٢ ص ٢٠.
- (٨) ابن القوطية، تاريخ، ص ١٠٨؛ ابن الخطيب، تاريخ، ٢ ص ٢٣.
- (٩) ابن عذارى، البيان، ٢ ص ٢٢٨.
- (١٠) ابن الأبار، الحلة السيرة، تحقيق حسين مؤنس، ط٢، دار المعارف بالقاهرة ١٩٨٥م، ١ ص ٢٠٦-٢٠٧؛ مجهول، ذكر، ١ ص ١٦١-١٦٢؛ ابن عذارى، البيان ٢ ص ٢٢٨، ٢١٧.
- (١١) مجهول، ذكر، ١ ص ١٢١؛ النويرى، نهاية، ٢٣ ص ٣٥٥؛ ابن الأثير، الكامل، ٥ ص ٢٨٩.
- (١٢) ابن حيان، المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تحقيق محمود مكى، بيروت ١٩٧٣م، ص ٨-١١، ١٤-١٥؛ ابن القوطية، تاريخ، ص ٩٦ و ما بعدها.
- (١٣) أخبار مجموعة؛ تحقيق لافونتي الكانترا، مجريط ١٨٦٧م، ص ١٠٩-١١٠، ١١٦؛ فتح الأندلس، تحقيق خواكين جونتالث، الجزائر ١٨٨٩م، ص ٦٨-٦٩؛ ابن عذارى، البيان، ٢ ص ٥٧؛ المقرئ، نفح، ٣ ص ٤٦؛ النويرى، نهاية، ٢٣ ص ٣٤٩؛ وانظر أيضا: ابن حزم، نقط، ص ٨٠، ٦٠.
- (١٤) ابن حيان، المقتبس الثانى، ص ٣-٧، ١٦-١٨؛ ابن عذارى، البيان، ٢ ص ٦٠-٦٣، ٦٩-٧١؛ مجهول، ذكر، ١ ص ١١٨-١٢٠، ١٢١؛ ابن الأثير، الكامل، ص ٢٨٤-٢٨٨، ٣٠٨-٣٠٩؛ ابن خلدون، العبر، ٤ ص ١٤٩-١٥٠، ١٥١؛ ابن حزم، نقط، ص ٦٠.

(١٥) انظر: سكن بن إبراهيم وغيره برواية ابن حيان، المقتبس في تاريخ رجال الأندلس، تحقيق منشور أنطونية، باريس ١٩٣٧م، ص ٣-٤ (= المقتبس في تاريخ الأندلس، تحقيق إسماعيل العربي، المغرب ١٩٩٠م، ص ١٨-١٩).

و لما كان عبد الله كما سنلاحظ فيما بعد قد بوع مبايعة مبدئية في ميدان القتال في نفس يوم وفاة أخيه وهو السبت منتصف صفر، ثم ارتحل إلى قرطبة فدخلها في اليوم التالي، وهناك تمت مبايعته يوم الإثنين السابع عشر، فقد اكتفى بعض المؤرخين بالإشارة إلى تاريخ مبايعته المبدئية في نفس يوم الوفاة منتصف صفر؛ انظر: ابن عذارى، البيان ١١٣-١١٤، ١١٩، ١٢١؛ مجهول، ذكر، ١ ص ١٥١؛ ابن الخطيب، تاريخ، ٢ ص ٢٥؛ المقرئ، نفح، ١ ص ٣٥٢.

أما الرازي برواية ابن حيان، المقتبس، تحقيق أنطونية، ص ٣ (= إسماعيل العربي، ص ١٧) فأشار إلى دخوله قرطبة يوم الأحد وإن أخطأ في تحديده بالربيع عشر والأصح السادس عشر، كما أشار إلى مبايعته النهائية فيها في اليوم التالي وأن جعله الخامس عشر والأصح السابع عشر. أما صاحب الأخبار المجموعة، ص ١٥٠؛ والنويري، نهاية، ٢٣ ص ٣٩٤، فيجعلان الوفاة والمبايعتين وكأنهما في يوم واحد هو السابع عشر الذي جعلاه موافقا للسبت والأصح الاثنين.

ثم أراح بعض المؤرخين أنفسهم فأشاروا إلى الوفاة والمبايعة في شهر صفر دون تحديد يوم أو تاريخ، انظر: الضبى، بغية الملتمس، الدار الكاتبة العربي ١٩٦٧م، ص ١٦؛ ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦م، ١ ص ٦؛ الحميدى، جذوة المقتبس، دار الكتاب المصري ١٩٨٣م، ١ ص ٤١؛ ابن خلدون، العبر، ٤ ص ١٥٩-١٦٠. أما ابن الأثير (الكامل، ٦ ص ٣٥٦) فيشير أن المنذر توفي في المحرم وقيل في صفر. (١٦) ابن عذارى، البيان، ٢ ص ١١٣.

(١٧) مجهول، ذكر، ١ ص ١٥٠؛ النويري، نهاية، ٢٣ ص ٣٩٤؛ ابن الأثير، الكامل، ٦ ص ٣٥٦.

(١٨) الحميدى، جذوة، ١ ص ٤١؛ الضبى، بغية، ص ١٦؛ ابن حزم، نقط، ص ٧٥.

(١٩) ابن الأبار، الحلة، ١ ص ٢١٢؛ ابن عذارى، البيان، ٢ ص ١٩٩.

(٢٠) ابن خلدون، المقدمة، كتاب التحرير، القاهرة ١٩٦٦م، ص ١٤٨.

(٢١) ابن الأبار، الحلة، ١ ص ٢١٢.

(٢٢) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف ١٩٧٧م، ١ ص ٩٩.

(٢٣) انظر: ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ط ٢، القاهرة ١٣٢٥هـ، ٢ ص ١٢، حيث قال معاوية: "والله لا أتزورها ما سعدت بحالاتها، فكيف أشقى بمرارتها، ثم هلك ولم يستخلف أحدا".

(٢٤) قارن: ابن عذارى، البيان، ٢ ص ١٠٦، ١١٤، ١٢٠؛ مجهول، ذكر، ١ ص ١٥٠؛ ابن الخطيب، تاريخ، ٢ ص ٢٤؛ أخبار مجموعة، ص ١٣٩؛ وإن كان يؤخر تاريخ اعتقاله إلى الثامن من ربيع أول فذلك راجع إلى تأخير وفاته أبيه مخالفا بقية المؤرخين.

- (٢٥) ابن عذارى، البيان، ٢ ص ١١٣-١١٤، ١١٨، ١١٩؛ ابن الخطيب، تاريخ، ٢ ص ٢٥؛ مجهول، ذكر، ١ ص ١٥١.
- (٢٦) قارن: مجهول، ذكر، ١ ص ١٥٠، ١٥٢؛ ابن عذارى، البيان، ٢ ص ١١٣، ١١٤؛ ابن الأثير، الكامل، ٦ ص ٣٥٦.
- (٢٧) انظر: ابن القوطية، تاريخ، ص ١٢٠.
- (٢٨) ابن عذارى، البيان ٢ ص ١٢٠.
- (٢٩) مجهول، ذكر، ١ ص ١٥٣.
- (٣٠) من أحفاد الأمير هشام بن عبد الرحمن؛ ومن أوائل من أرخ لأمرأ هذا البيت حتى عصره؛ عنه راجع: ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق السيد عزت العطار، القاهرة ١٩٥٦م، ٢ ص ٦٩٢ رقم ١٧٤٠؛ ابن عذارى، البيان، ٢ ص ١٤٨؛ بويكا، المصادر التاريخية العربية في الأندلس، نقله إلى العربية نايف أبو كرم، ط١، دمشق ١٩٩٩م، ص ٩٨-٩٩.
- (٣١) كان أمين سر عبد الرحمن الثالث وكتابه ومؤرخ بلاطه، ينسب إليه كتابين أحدهما عن: طبقات الكتاب بالأندلس، وثانيهما عن طبقات الخلفاء بالأندلس، وكلاهما مفقود ولم يبق منهما إلا اقتباسات في كتابات مؤرخي القرن الخامس الهجري و ما بعده. وعنه راجع: ابن الأبار، إعتاب الكتاب، تحقيق صلاح الأشر، دمشق ١٩٦١م، ص ٤٤؛ المراكشي، الذيل والتكملة، ص ٤٨ رقم ١٢١؛ الحميدى، جذوة، ص ٣٦٨ رقم ٤٩٤؛ الضبي، بغية، ص ٣١٥ رقم ٨٣٤؛ ابن عذارى، البيان، ٢ ص ١٦٥، ٢٠٨؛ بويكا، المصادر، ص ٣٠، ١٤٤-١٤٥.
- (٣٢) كان كاتب الحكم الثاني ومؤرخ بلاطه، ومن بعده ابن أبى عامر حاجب ابنه هشام الثاني، وينسب إليه كتاب عن: حجاب الخلفاء بالأندلس، وآخر عن: تاريخ دولة بنى مروان بالأندلس، وثالث عن: الوزراء والوزارة، وكلها مفقودة ولم يبق منها سوى اقتباسات عند المؤرخين اللاحقين. راجع عنه: المراكشي، الذيل و التكملة، ص ٢/٥ ص ٤٩١ رقم ٨٩٢؛ بويكا، المصادر، ١٣٦-١٣٨.
- (٣٣) عنه راجع: بالننثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، نقله عن الإسبانية حسين مؤنس، القاهرة ١٩٥٥ م، ص ٢٠٢ ف ٦٥؛ بويكا، المصادر، ص ١١٥-١١٦؛ بروكلمان، تاريخ الأدب العربى، نقله إلى العربية عبد الحليم النجار وغيره، دار المعارف ١٩٦١م، ص ٣، ٨٩-٩٠.
- (٣٤) وصلنا كتاب ابن القوطية كاملا أما مؤلفات معاوية وسكن والرازى مفقودة، وما تبقى منها عبارة عن اقتباسات لمؤرخين لاحقين لهم؛ ومنهم ابن حيان الذى تتميز اقتباساته بأنها مطولة ومنقولة نقلًا حرفيًا، فالقطعة المنشورة من المقتبس لابن حيان عن عصر الأمير عبد الله (٢٧٥-٢٩٩هـ) وهى التى نشرها أنطونية (باريس ١٩٣٧م) تقع فى ٤٧ صفحة نصفها مقتبس من الرازى، أما القطعة المنشورة عن نحو خمس سنوات من عصر الحكم الثانى (٣٦٠-٣٦٤هـ)، وهى التى نشرها عبد الرحمن الحجى (بيروت ١٩٨٣م) ففى ٢٢١ صفحة منقولة بكاملها عن الرازى دون أن يعمد ابن حيان إلى استكمال أحداث ما وجده من فجوات فى مخطوط الرازى، مثلما أشار بنفسه إلى ذلك، انظر: ص ٩٥-١٥٥، ٩٦.
- (٣٥) برواية ابن حيان، المقتبس، تحقيق انطونية، ص ٣-٤ (= إسماعيل العربى، ص ١٩).
- (٣٦) تاريخ، ص ١٢٠.
- (٣٧) ص ١٥٠.

- (٣٨) برواية ابن حبان، المقتبس، تحقيق أنطونية، ص ٢ (= إسماعيل العربي، ص ١٦).
- (٣٩) البيان، ٢ ص ١١٨.
- (٤٠) تاريخ، ٢ ص ٢٥.
- (٤١) تاريخ، ص ١٢٠؛ وانظر أيضا: مجهول، ذكر، ١ ص ١٥١ وهو الذي يدعو الفتى "منصور" وليس "ميسور".
- (٤٢) انظر: الرازي، مختار الصحاح، عنى بترتيبه محمود خاطر، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٦م، ص ٥٣٧.
- (٤٣) ابن الفرصى، تاريخ، ٢ ص ٧٦ رقم ١٣١٨.
- (٤٤) عن القصة كاملة انظر: ابن القوطية، تاريخ، ص ٩٦-٩٧؛ ابن حبان، المقتبس، تحقيق مكي، ص ٩-١٠؛ ابن خلدون، العبر، ٤ ص ١٥٦.
- (٤٥) علي بن احمد بن سعيد بن حزم، قرطبي المولد عام ٣٨٤هـ/٩٩٤م؛ كانت له ولأبيه من قبله رئاسة فيها، وتولى الوزارة لكنه اعتزل السياسة وانصرف إلى الدراسة والتأليف، حتى صار من اكبر علماء الأندلس وصاحب المذهب الظاهري، انتقد كثيرا من العلماء بجرأة، فتمالأ البعض على بغضه وعمدوا إلى تضليله، فناصبته العامة العداوة وأبعده الحكام ترضية لهم، انظر: الضبي، بغية، ص ٤١٥-٤١٨ رقم ١٢٠٥؛ الحميدى، جذوة، ص ٤٨٩-٤٩٣ رقم ٧٠٨؛ بالثنيا، تاريخ الفكر، ص ٢١٣ وما بعدها ف ٦٨ وما بعدها؛ شوقي ضيف، مقدمته على نقط العروس، ص ٤١ وما بعدها.
- (٤٦) تاريخ، ٢ ص ٢٦.
- (٤٧) برواية ابن حبان، المقتبس، تحقيق أنطونية، ص ٤٤ (= إسماعيل العربي، ص ٦٢)؛ وبرواية ابن عذاري، البيان، ٢ ص ١٥٦؛ وبرواية ابن الخطيب، تاريخ، ٢ ص ٢٦.
- (٤٨) المغرب فى حلى المغرب، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف ١٩٥٥م، ١ ص ٥٤.
- (٤٩) هم المعروفون بالصفالبة الذين كان يؤتى بهم صغارا إلى الأندلس من أصقاع شتى من جليقية وبلاد الفرنجة وغيرها من البلاد الأوروبية؛ وقد بدأ استقدامهم منذ أيام عبد الرحمن الداخل بعدما استراب بالعرب لكثرة من قام منهم عليه، فاصطنع من سواهم واتخذ الموالى من هؤلاء الصفالبة، انظر. المقرئ، نفح، ١ ص ٣٣٣؛ ابن خلدون، العبر، ٤ ص ١٤٨. وقد استمر هذا التقليد فى عهد خلفاء عبد الرحمن، واستكثروا منهم حتى تبوأوا وضع اجتماعيا وسياسيا رفيعا، فشكّلوا إحدى شرائح طبقة الأرستقراطية.
- (٥٠) الرازي برواية ابن حبان، المقتبس، تحقيق أنطونية، ص ٢ (= إسماعيل العربي، ص ١٦)؛ وانظر أيضا: مجهول، ذكر، ١ ص ١٥١-١٥٢.
- (٥١) الرازي، أعلاه، نفس المكان والصفحة.
- (٥٢) المقرئ، نفح، ١ ص ٣٤٢؛ ابن الأثير، الكامل، ٥ ص ٤٦٦؛ ابن خلدون، العبر، ٤ ص ١٥٣.
- (٥٣) ابن عذاري، البيان، ٢ ص ٥٧؛ مجهول، فتح الأندلس، ص ٦٩-٦٩؛ المقرئ، نفح، ٣ ص ٤٦؛ أخبار مجموعة، ص ١٠٩-١١٠، ١١٦.

- (٥٤) مجهول، ذكر، ١ ص ١٢١؛ النويري، نهاية، ٢٣ ص ٣٥٥.
- (٥٥) ابن عذارى، البيان، ٢ ص ٢١٧، ٢٢٨؛ مجهول، ذكر، ١ ص ١٦٢.
- (٥٦) المقرئ، نفح، ١ ص ٣٤٢؛ ابن الخطيب، تاريخ، ٢ ص ١٤، ويجعلها ألف فرس فقط، ويبدو أنه تصحيف من المحقق.
- (٥٧) المقرئ، نفح، ١ ص ٣٤١؛ مجهول، ذكر، ١ ص ١٢٥؛ ابن الأثير، الكامل، ٥ ص ٤٦٦؛ ابن خلدون، العبر، ٤ ص ١٥٣.
- (٥٨) عن حركتهما انظر على سبيل المثال: ابن حيان، المقتبس الثاني، مخطوط الأكاديمية، ص ١٨-٣؛ ابن عذارى، البيان، ٢ ص ٦١-٦٣، ٦٩-٧١؛ مجهول، ذكر، ١ ص ١١٩-١٢١.
- (٥٩) عن هذا الدور بتفصيل انظر: ابن القوطية، تاريخ، ص ٩٧-١٠١.
- (٦٠) الرازي برواية ابن حيان، المقتبس، تحقيق أنطونية، ص ٢ (= إسماعيل العربي، ص ١٦)؛ وانظر أيضا: ابن القوطية، تاريخ، ص ١٢٠؛ مجهول، ذكر، ١ ص ١٥٢.
- (٦١) سكن بن إبراهيم برواية ابن حيان، المقتبس، تحقيق أنطونية، ص ٣، ٤ (= إسماعيل العربي، ص ١٨، ١٩)؛ وانظر أيضا: أخبار مجموعة، ص ١٥٠.
- (٦٢) الرازي برواية ابن حيان، أعلاه، ص ٣ (= إسماعيل العربي، ص ١٦).
- (٦٣) ابن القوطية، تاريخ، ص ١٢٠؛ كان هاشم من أشهر وزراء والد الأمير المنذر وأقربهم إلى قلبه، مع أن علاقته كانت سيئة بالمنذر نفسه، بحيث أنه ما أن اعتلى عرش الإمارة حتى بادر بقتله وحبس أبنائه وأقربائه جميعا، وظلوا في محبسهم إلى أن أمر بصلبهم قبل عودته من غزوته، ليراهم على تلك الحالة حين دخوله قرطبة. قارن في ذلك: مجهول، ذكر، ١ ص ١٥٢؛ ابن الأبار، الحلة، ١ ص ١٣٧-١٤٢؛ ابن عذارى، ٢ ص ١١٥-١١٦؛ أخبار مجموعة، ص ١٤٩.
- (٦٤) تاريخ، ص ١٢٠.
- (٦٥) ابن الأبار، الحلة، ١ ص ١٤٢؛ ابن عذارى، البيان، ٢ ص ١١٦، ١٥٣.
- (٦٦) سكن بن إبراهيم برواية ابن حيان، المقتبس، تحقيق أنطونية، ص ٤ (= إسماعيل العربي، ص ١٩)؛ وانظر أيضا: ابن عذارى، ٢ ص ١١٩.
- (٦٧) سكن بن إبراهيم برواية ابن حيان، أعلاه؛ وانظر أيضا: أخبار مجموعة، ص ١٥٠؛ ابن عذارى، البيان، ٢ ص ١١٨؛ ابن الخطيب، تاريخ، ٢ ص ٢٥.
- (٦٨) الرازي وسكن برواية ابن حيان، نفسه، ص ٢، ٤ (= إسماعيل العربي، ص ١٧، ١٩)؛ ابن عذارى، البيان، ٢ ص ١١٩؛ ابن الخطيب، تاريخ، ٢ ص ٢٥؛ أخبار مجموعة، ص ١٥٠.
- (٦٩) الرازي برواية ابن حيان، نفسه، ص ٢ (= إسماعيل العربي، ص ١٧)؛ ابن عذارى، البيان، ٢ ص ١١٨-١١٩؛ مجهول، ذكر، ١ ص ١٥٢.
- (٧٠) الرازي وسكن برواية ابن حيان، نفسه، ص ٢-٣، ٤ (= إسماعيل العربي، ص ١٧، ١٩).
- (٧١) برواية ابن حيان، نفسه، ص ٤ (= إسماعيل العربي، ص ١٩).
- (٧٢) البيان، ٢ ص ١١٩.

- (٧٣) ابن عذارى، نفسه، ٢ ص ١٢٠؛ ابن الخطيب، تاريخ، ٢ ص ٢٣؛ مجهول، ذكر، ١ ص ١٥٠.
- (٧٤) ابن حزم برواية ابن عذارى، نفسه، ٢ ص ١٥٦؛ وبرواية ابن حيان، نفسه، ص ٤١ (=إسماعيل العربي، ص ٦٢).
- (٧٥) الرازي برواية ابن حيان، نفسه، ص ٣ (= إسماعيل العربي، ص ١٦)؛ ابن الخطيب، تاريخ، ٢ ص ٢٥.
- (٧٦) قارن: ابن عذارى، البيان، ٢ ص ١٢٠؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص ١٥٠؛ مجهول ذكر، ١ ص ١٥٠؛ ابن الخطيب، تاريخ، ٢ ص ٢٤.
- (٧٧) انظر بتفصيل: الرازي وغيره برواية ابن حيان، نفسه، ص ٣٣-٣٩ (= إسماعيل العربي، ص ٥٣-٦٠)؛ وانظر اختصار هذه الروايات عند: ابن عذارى، البيان، ٢ ص ١٥٣-١٥٤؛ مجهول، ذكر، ١ ص ١٥٣-١٥٤.
- (٧٨) أخبار مجموعة، ص ١٥٠-١٥١؛ ابن عذارى، ٢ ص ١٥٥؛ ابن خلدون، العبر؛ ٤ ص ١٦.
- (٧٩) الرازي وابن عبد ربه برواية ابن حيان، نفسه، ص ٣٣، ٣٧ (= إسماعيل العربي، ص ٥٣، ٥٨)؛ ابن عذارى، البيان، ٢ ص ١٥٥.
- (٨٠) برواية ابن حيان، نفسه، ص ٣٩ (= إسماعيل العربي، ص ٦٠)؛ وبرواية ابن عذارى، البيان، ٢ ص ١٥٥-١٥٦.
- (٨١) عن أمثلة لهذه المواقف، انظر أعلاه.
- (٨٢) نفسه، ص ٣٨ (= إسماعيل العربي، ص ٥٩).
- (٨٣) نفسه، ص ٣٩ (= إسماعيل العربي، ص ٦٠).
- (٨٤) نفسه، ص ٣٤، ٣٦ (= إسماعيل العربي، ص ٥٥، ٥٧).
- (٨٥) نفسه، ص ٣٧ (= إسماعيل العربي، ص ٥٨).
- (٨٦) برواية ابن حيان، نفسه، ص ٤١ (= إسماعيل العربي، ص ٦٢)؛ وبرواية ابن عذارى، البيان، ٢ ص ١٥٦؛ وبرواية ابن الخطيب، تاريخ، ٢ ص ٢٦، ٢٧؛ وانظر أيضا: ابن حزم، نقط، ص ٧٨، ٧٩، ٨٧.
- (٨٧) تاريخ، ٢ ص ٢٨.
- (٨٨) نفسه، ٢ ص ٢٦.
- (٨٩) ابن حزم، نقط، ص ٨٠.
- (٩٠) تاريخ، ٢ ص ٣٩.
- (٩١) مجهول، ١ ص ١٦٢.
- (٩٢) ابن الآبار، الحلة، ١ ص ٢٠٦-٢٠٧؛ ابن عذارى، البيان، ٢ ص ٢١٧، ٢٢٨؛ مجهول، ذكر، ١ ص ١٦١-١٦٢؛ ابن خلدون، العبر، ٤ ص ١٧٢؛ ابن حزم، نقط، ص ٧٨.
- (٩٣) قارن: ابن خلدون، العبر، ٤ ص ١٦٧، ١١٦؛ ابن حزم، نقط، ص ٨٠.
- (٩٤) ابن الخطيب، تاريخ، ٢ ص ٣٩.

- (٩٥) قارن: ابن عذارى، البيان، ٢ ص ١٥٠؛ ابن الأبار، الحلة، ٢ ص ٣٦٧-٣٦٨؛ مجهول، ذكر، ١ ص ١٥٥؛ ابن خلدون، العبر، ٤ ص ١٦٤.
- (٩٦) ابن عذارى، نفسه، ٢ ص ١٥٠.
- (٩٧) انظر: ابن القوطية، تاريخ، ص ١٢٢؛ ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، حققه محمد عبد الله عنان، القاهرة ١٩٧٥م، ٣ ص ٢٧٩؛ النويرى، نهاية، ٢٣ ص ٣٩٦.
- (٩٨) ابن الخطيب، نفس المكان والصفحة.
- (٩٩) ابن القوطية، تاريخ، ص ١٢٢؛ وانظر أيضا: ابن حيان، المقتبس، تحقيق أنطونية، ص ٨٠ (= إسماعيل العربى، ص ١٠٢-١٠٣).
- (١٠٠) ابن حيان، نفسه، ص ١١٠-١١١ (= إسماعيل العربى، ص ١٣٣)؛ ابن عذارى، البيان، ٢ ص ١٢٤؛ ابن الأبار، الحلة، ٢ ص ٣٧٤.
- (١٠١) ابن حيان، نفسه، ص ١١١ (= إسماعيل العربى، ص ١٣٣)؛ ابن القوطية، تاريخ، ص ١٢٢-١٢٣؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ٣ ص ٢٨٠.
- (١٠٢) كان صنيعة الأمير عبد الله من قبل توليه الإمارة، فلما تولاهما عهد إليه بخطه السوق شهرا ضبط خلاله العامة؛ وظهرت منه صرامة أكسبته مهابة، فولاه الحجابة على مدى خمس عشرة عاما. وعن ذلك وسبب سعايته عند المطرف، انظر: ابن حيان، نفسه، ص ٥ (= إسماعيل العربى، ص ٢٠)؛ ابن القوطية، تاريخ، ص ١٢١.
- (١٠٣) بتفصيل انظر: ابن الخطيب، الإحاطة، ٣ ص ٢٨٠.
- (١٠٤) ابن القوطية، تاريخ، ص ١٢٣.
- (١٠٥) نفسه، ص ١٢٤.
- (١٠٦) أعلاه، نفس المكان والصفحة.
- (١٠٧) ابن خلدون، العبر، ٤ ص ١٦٤.
- (١٠٨) ابن حيان، نفسه، ص ١١٤ (= إسماعيل العربى، ص ١٣٧)؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ٣ ص ٢٨٠؛ ابن الأبار، الحلة، ٢ ص ٣٦٨-٣٧٤؛ وإن كان ابن خلدون (العبر، ٤ ص ١٦٤) ينفرد بتحديد تاريخ قتله فى عام ٢٨٣ هـ.
- (١٠٩) ابن حيان، نفسه، ص ١٢٢ (= إسماعيل العربى، ص ١٤٦)؛ وإن لم يبين ابن حيان ما هى هذه القصة العظيمة، فقد فسرها ابن خلدون بقوله أنه حينما اغتيل عبد الملك بن أمية، عقد الأمير لابنه أمية عبد الملك " فسنح أمية على الفقراء بأنفه، وترفع على الوزراء فمقتوه وسعوا فيه عند الأمير عبد الله بأنه بايع جماعة من سماسرة الشر لأخيه هشام بن محمد، ولفقت بذلك شهادات اعتمد القاضى حينئذ قبولها، وأشار للساعين أن يجعلوا فى الجماعة للمشهود عليهم بالبيعة بعض أعدائه، فتمت الحيلة وقتل هشام أمية الوزير "، انظر: العبر، ٤ ص ١٦٤-١٦٥.
- (١١٠) ابن حيان، نفس المكان والصفحة؛ ابن الأبار، الحلة، ٢ ص ٣٦٧.
- (١١١) ابن عذارى، البيان، ٢ ص ١٥٠.

(١١٢) ابن الأبار، الحلة، ١ ص ١٢٧؛ وإن كان ابن عذارى (البيان، ٢ ص ١٥١)، يرى أنه حينما أصاب الأرق القاسم في سجنه أرسلت إليه أمه نوعاً من الشراب يساعده على النوم، فتناولته كله مرة واحدة وليس كما نصحته على ثلاثة أيام، فتوفي بسبب ذلك.

(١١٣) Introduction á L'histoire de L'Afrique de Ibn-Adhari, Leiden 1848, P.45.

(١١٤) محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ط ٣، القاهرة ١٩٨٨م، ١ ص ٢٨٨.

(١١٥) انظر على سبيل المثال: إبراهيم بيضون، الدولة العربية في أسبانيا، دار النهضة العربية، ط ٣، بيروت ١٩٨٦م، ص ٢٧٤؛ أحمد مختار العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، دار المعارف ببيروت، ص ١٥٦؛ السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، بيروت بدون، ص ٢٤٣.

(١١٦) البيان ٢ ص ١٢١ حيث يقول: " وأفضت الخلافة إليه - أى إلى عبد الله - وقد تحيفها النكث، ومزقها الشقاق، وحل عراها النفاق، والفتنة مستولية، والدجنة متكاثفة، والقلوب مختلفة، وعصى الجماعة منصدة، والباطل قد أعلن، والشر قد اشتهر، وقد تماهى على أهل الإيمان حزب الشيطان، وصار الناس من ذلك في ظلماء ليل داج، لا إشراق لصباحه ولا أفول لنجومه. وتآلب على أهل الإسلام أهل الشرك ومن ضاهاهم من أهل الفتنة، الذين جردوا سيوفهم على أهل الإسلام، فصار أهل الإسلام بين قتيل ومحروب ومحصور، يعيش مجهوداً ويموت هزلاً، قد انقطع الحرث وكاد ينقطع النسل".

(١١٧) تاريخ، ٢ ص ٢٧ حيث يقول: " وتصيرت إليه - أى إلى عبد الله - الخلافة، وقد تحيف النكث أطرافها وأقتسمها الثوار، وقلب عليها الأشرار، ولم يبق منها إلا الاسم فوق ظهر منبر قرطبة والقليل من غيرها، وساعت الظنون. ولم يدر عبد الله إلى أين يصرف وجهه: إلى ابن حفصون كبير الثوار المجاور لقرطبة، وقد استولى على أعظم البلاد مثل البيرة ورية وما إلى ذلك، أم لابن حجاج وقد استقل بإشبيلية وقرمونة وما إلى ذلك، أم لعبد الرحمن بن مروان الجليقي بيطليوس، أم لعبد الملك بن أبى الجواد بباجة الغرب، أم لابن السليم بشنونة، أم لابن إلياس بالقلعة المنسوبة إليه، أم لخير بن شاعر بشونر، أم لعمر بن مضم الهزرولى، أم لسعيد بن هذيل بحصن المنتلون، أم لسعيد بن مستنة بباعو، أم لبنى هابيل بحصون جيان، أم لإسحاق بن عطف بحصن مناشة، أم لسعيد بن سليمان بن جودى بغرناطة، أم لمحمد بن أضحي كبير العرب بالبيرة، أم لأبى بكر بن يحيى بشنت مرية، أم لسليمان بن محمد الشونى بشرش، أم لعبد الوهاب بمورين، أم ليحيى التجيبي الأنقر بسرقسطة. وإنما ألمعنا بذكر أسمائهم المتعددة، وهم بعض من كل وقليل من كثير".